نماذج مختارة من الطيور في التراث

أ . د . ماجد عبد الله الشمس

كلية الآداب – قسم الآثار

مقدمة :

تتناول سطور هذا البحث نماذج مختارة لحيوانات لها أهميتها في حياة الإنسان ومن ثم ورودها بالتفصيل في مصادر تاريخية أحياناً مما يجعلها مادة ذات قيمة للتعريف بدورها في حياة الإنسان في الماضي والحاضر.

تشتمل المادة المقدمة البحث على خمسة نماذج لطيور مختارة هي:- الببغاء، النعام، الهدهد، العندليب والنسر.. إلى جانب المادة العلمية وردت سطور طريفة لما قيل عنها بما تناقله الناس قديماً.

ومما لاشك فيه ان عالم الطيور جلب اهتمام الإنسان لدى الشعوب كافة لما تمتعت به من قابلية على الطيران وجمال أشكالها وألوانها. لذا فإنها دخلت كعناصر أساسية في الفنون القديمة والحديثة كما أمست بعض الطيور مقدسة لما تمتعت به من مزايا.

كلمة في الطيور :

عند الحديث عن زمن ظهور الطيور فيبدو إنه كان خلال العصر الجوراسي (١٧٠-١٤٠ مليون سنة) وإنها ترتبط بالزواحف التي ظهرت خلال العصر الكاربوني (٢٧٥-٢٢٠ مليون سنة)[١] .

تنقسم طائفة الطيور إلى طائفتين هما:

١. طائفة الطيور القديمة Sub-class Archacornithea وتشمل الطيور المنقرضة، وفيها يكون الذيل طويلاً ويتركب من فقرات منفصلة ولا يوجد في نهايته عصعص، ولها أسنان في كلا الفكين، وتكون عظام الرسغ والمشط اليدوي منفصلة ومن أمثلتها الاركيو تركس.

٢. طائفة الطيور الحديثة Sub-class Neorithesويكون الذيل فيها قصيراً، كما تلتحم الفقرات الذيلية الأخيرة بعضها ببعض مكونة العصعص. كما لا توجد لها أسنان، إلا في قليل من الأنواع البائدة منها، وتلتحم عظام الرسغ مع عظام المشط مكونة عظماً واحداً هو الرسغ المشطي اليدوي، وهي تنقسم إلى ثلاث رتب :

أ - فوق رتبة سنية الفك Super order Odontagnathea، وهي البائدة ذات الأسنان.

ب- فوق رتبة قديمة الفك Super order Palaeognathae: وهي تشتمل على الطيور التي لا تطير على الاطلاق، ولا يحتوي ريشها على خطافات، وعرف القص ضعيف أو غير موجود، وللذكر منها عضو للتلقيح، ومن أمثلتها النعامة، والايمو والموا

جـ- فوق رتبة حديثة الفك Super-order Neognathae: وهي الطيور التي يحتوي الريش فيها على خطافات، وللقص عرف كبير. كما تلتحم الفقرات الذيلية الأخيرة في عصعص، ومنها الدجاج والبط والأوز. إضافة إلى أخرى مثل الببغاوات والنسور والصقور والعصافير والحمام وغيرها[٢].

البيغاء :

تتمتع طيور كثيرة بجمال شكلها وألوانها إلى درجة إنها أصبحت رموزاً في الشعر للوصف الجميل. إلا ان بعضها امتاز بخصائص أخرى كحدة البصر وسرعة الطيران أو القابلية على القنص كما في الصقور والنسور. أما الطير الذي نحن بصدده، أعني الببغاء، فقد عرف بقابليته بتقليد أصوات البشر، حتى ان بعض كتب

الطب القديمة أشارت إلى ان من يأكل لسانه يمسي فصيحاً!! (٣).

وعلى أية حال، لا يعود ذكر مصادر عربية للببغاء لتوطنه البلاد العربية أو ما جاورها، بل لما يتمتع به من سمات رغم محدودية انتشاره فطيور هذه الرتبة الببغاوية Super order Psittaciformes تضم مجموعات استوائية أو شبه استوائية تتصف بألوانها الجميلة، وشدة ذكائها بتقليد الأصوات والكلمات البسيطة(٤).

تتميز طيور الرتبة الببغاوية بمنقارها الضخم المعقوف والقصير، وللفك العلوي اتصال مفصلي مع الجمجمة يمكنه من الحركة إلى أعلى وأسفل فضلا عن وجود بقعة لينة في قاعدة المنقار ينفتح فيها المنخران. ومما تتميز به وجود اصبعين في الأمام ومثلهما إلى الخلف مما يمكن الطير من استعمال القدمين للقبض ومن ذلك ايصال الغذاء إلى الفم، وكذلك استعمالها للجثوم على الأغصان والتسلق، كما يستعمل الفك العلوي كشص للتعلق.

تعيش هذه المجموعة من الطيور على الأشجار وتتغذى على البذور والثمار الجافة كالجوز والبندق والثمار الطرية.

ومن صفات هذه الطيور الميل إلى التجمع وإحداثها للصخب. ومن صفاتها إنها ليست مهاجرة إلا فيما ندر. أما أعشاشها فتقيمها في ثقوب الأشجار المنخورة التي تعمل فيها التوسع الذي يناسبها. ومما تتميز به فراخها إنها تكون عادية مكفوفة البصر أول مولدها، ثم ينمو الريش تدريجياً(٥).

أما ألوان الببغاء فمتعددة كما نفهم ذلك من المصادر التاريخية، إلا ان البعض يشير إلى ان ما بقي منها الأخضر(٦). وهذا النوع من الببغاء يسمى بالمطوقة Psittacula Kranneri أو بما يعرف بالانكليزية Rose-ninged Parakeet، التي تتميز بريشها الاخضر ومنقارها الضخم الأحمر المعقوف إلى الأسفل، وذيلها الطويل المتدرج الذي تضرب خضرته إلى الزرقة(٧). وهذا النوع موطنه الهند وسيلان وبورما وافريقية الاستوائية حتى السودان(٨). إلا ان "داود الانطاكي" (ت-١٠٠٨هـ) قال: "أجوده الاخضر فالاحمر وأردأه الابيض وهو أكبر ويجلب من الصين"(٩). أما

كمال الدين الدميري (القرن-٨هـ) فيعرفه أول الأمر بأنه "الطائر الاخضر" إلا إنه يقول فيما بعد: "من الببغاء نوع ابيض وقد أهدي لمعز الدولة بن بويه درة بيضاء اللون سوداء المنقار والرجلين على رأسها ذؤابة فستقية"(١٠). إلا إنه يأتي إلى فقرة مهمة في ما بقي من هذا الطائر: "وجميع انواعها معدوم سوى الاخضر فهو الموجود الآن"(١١). وفي انواعها يقول "عبد المجيد العدوي (ت-١٨٨٥م): "وهو أصناف كثيرة منها الاخضر والرمادي والابيض"(١٢). أما عن الفرع الابيض فتشير المصادر العلمية إنه المسمى Cockatoo وموطنه جزر جنوب شرقي آسية والمنطقة الاسترالية، وهي من أنواع تعود للجنس Cacatna(١٤). أما أعمار الببغاوات فبحسب أنواعها وهي بين (٧٥-٨٠) عاما(١٥).

أما الاسم في مصادر اللغة فقد أغفل ذكرها "ابن منظور" (ت-٧١١هـ) صاحب "لسان العرب"، إلا ان مصادر أخرى ضبطتها لنا، قال "ابي سعد السمعاني" (ت-٥٦٢هـ) في "الانساب": "الببغا: بالباءين الموحدتين أولاهما مفتوحة والأخرى ساكنة وفي آخرها الغين المعجمة"(١٦)، ثم قال: "هذا لقب ابي الفرج الشاعر المؤرخ، وقيل له الببغا لفصاحته، وهو أبو الفرج عبد الواحد بن نصر بن محمد المخزومي الحنطي الببغا. وقد ذكرت نسبه في الحاء المهملة، وهو من أهل بغداد"(١٧). وقال "المعلوف" بأن التسمية ببغاء وببَغاء وببغاة، هندية، وقال: "وبعضهم يقول ببغال وببغان وبغبغان. واللفظة هندية الأصل وهي بيغا بلغة التاميل التي يتكلمون بها في بعض أنحاء جزيرة سيلان وما يجاورها من بلاد الهند". كما وردت التسمية "درّة" في مصادر عربية التي قال عنها "المعلوف": "أما الدرّة فلفظة افريقية وأظنها حبشية الأصل وهي الدرة بلغة التجرة إحدى اللغات الحبشية...". وقال: "ويظهر ان العرب الذين اتصلوا بالهند عن طريق البحر العربي استعملوا لفظة الببغاء والذين اتصلوا بالصومال وبلاد الحبشة استعملوا لفظة الدرّة ولكن البعض يفرقون بين الدرة والببغاء فيطلقون الأولى على الصغير من هذا الطائر والثانية على ما عظم حجمه"(١٨).

من الأمور التي يذكرها الانطاكي ان الببغاء "أشد الطيور تضرراً بالبرد، وإذا خرج عن دياره لم تتزوج ذكوره باناثه ولم يبيض"(١٩). ولا ندري مدى دقة العبارة

الأخيرة التي أوردها.

لقد تناولت كتب التراث، ومنها الطبية مدى فائدة لحم الببغاء للإنسان، كما دخل الأمر في تحريمه أو أكله فالدميري أورد بأنه: "قيل حلال لأنها تأكل الطيبات وليست من ذوات السموم ولا من ذوات المخالب ولا أمر بقتلها ولا نهي عنه"(٢٠). في حين ذكر السامرائي "يحرم أكلها على الأصح في الرافعي ونقله في البحر عن العميري وأقره وعلل ذلك بخبث لحمها وقيل حلال..."(٢١). في حين يشير "الانطاكي" ان لحمه إذا أكل "لم ينهضم"، إلا إنه أشار إلى فائدته الطبية بأنه "يلم القروح العسرة" و"يسقط الثآليل" إلا إنه لم يُشر فيما إذا كان الاستعمالان الأخيران للحم آكلاً أم باسلوب آخر. وفيما يخص الدم ذكر إنه يفيد في بياض العين إذا ما اكتحل به(٢٢).

مما لاشك فيه ان ما جلب اهتمام الناس بالببغاء ليس شكله الجميل فحسب بل ترديده لبعض الكلمات والمقاطع. قال الانطاكي: "فإن مال فمه إلى حمرة فهذا أسرع تعلماً للكلام ولسانه كلسان الإنسان فيه مقاطع الحروف ويخاف فيتعلم إذا هدد، ومتى غذي الفستق والأرز والقرطم أسرع تعليماً..."(٢٣). أما كمال الدين الدميري فقال: "وهو حيوان دمث الخلق ثاقب الفهم له قوة على حكاية الأحداث وقبول التلقين". وعن طريقة تعليمه الكلام أورد ما يلي: "إذا أردت تعليم الببغاء الكلام فخذ مرآة واجعلها أمامها فترى صورتها أي صورة نفسها ثم تكلم من ظاهر المرآة وتعاودها فإنها تعيد الكلام. كما أشار إلى قول ابن الفقيه عبارته: "رأيت بجزيرة رانج حيوانات غريبة الأشكال ورأيت فيها صنفاً من الببغاء احمر وابيض واصفر يعيد الكلام بأي لغة كانت"(٢٤).

ومن الأمور الطريفة التي تخص هذا الطائر ان كتب تفسير الاحلام العربية تشير الى دلالته في المنام على رجل نخاس كذاب ظلوم وهو من الممسوخ. وقيل هو رجل فيلسوف، وفرخه ولد فيلسوف. والببغاء دالة على المرأة الجميلة ذات الحركة والفصاحة"(٢٥).

النعَام :

من الطيور الضخمة التي تجلب الانتباه بشكلها وطباعها لذا أسهبت مصادر التراث العلمية والأدبية في وصفها لاسيما وان منها ما كان يعيش في العراق وأجزاء من الوطن العربي.

تعرف الفصيلة النعامية علمياً بالمصطلح Struthinidae التي تضم نوعاً واحداً هو النعامة الافريقية Sturthio Camelus[٢٦].

يبلغ ارتفاع الذكور من النعام إلى قمة الرأس زهاء المترين ونصف، في حين تكون الاناث أصغر قليلاً.

مما تمتاز به النعامة جناحاها القصيران اللذان لا يمكناها من الطيران، كما تمتاز بوضعها بين (١٥-٢٠) بيضة، ويحتضن الذكر البيض ليلاً في حين تحتضنه الانثى نهاراً[٢٧].

أما غذاء النعام فهو النباتات الخضراء والحبوب بشكل خاص.

مثلت النعامة في مشاهد كثيرة لما تركه أبناء العراق القديم منذ مدة تعود لنحو (٤٥٠٠سنة مضت) ففي مقبرة مدينة "كيش" مثلت على الاختام الاسطوانية التي وجدت فيها أخرى من العصر الأكدي (٤٣٥٠سنة مضت)، واستمر تمثيلها بعد ذلك بألف عام. إلا ان أهم الأعمال الفنية التي وردتنا عن النعامة هي ما وصلنا من العصر الاشوري الامبراطوري على الاختام الاسطوانية وكذلك على منحوتات جدارية. وعلى الرغم من ان هذا الطائر لم يعد له وجود إلا إنه كان يعيش على الجانب الايسر لنهر الفرات[٢٨]. ومثلت قبل الإسلام عند الحضريين العرب بمشهد منحوت في واجهة إحدى الأواوين المواجهة للشرق وذلك قبل نحو (١٩٠٠عام).

وعن استمرار وجود النعام في الشرق أشار الرحالة "برتون" إنه شاهد بيض النعام يباع في أسواق المدينة المنورة عام ١٨٥٧[٢٩]. وقيل إنها كانت موجودة في بادية الشام ونجد لغاية عام ١٩٢٧[٣٠].

وخلال الحقبة العربية الاسلامية حفلت الكتب بفقرات مهمة عن النعام سواء الأدبية منها والعلمية.

جاء في كتاب " لسان العرب المحيط " لابن منظور (ت-٧١١هـ) النعامة : معروفة، هذا الطائر، تكون للذكر والانثى، والجمع نعامات ونعائم ونعام، وقد يقع النعام على الواحد... والنعام أيضاً، بغير هاء، الذكر منها الظليم. والنعامة الانثى. قال الازهري: وجائز ان يقال للذكر نعامة بالهاء. وقيل النعام اسم جنس مثل حمام وحمامة، وجراد وجرادة"(٣١). وعن وصفها قال: "والعرب تقول: أصم من النعامة، وذلك إنها لا تلوي على شيء إذا جفلت... ويقولون: أمرق من نعامة، ومرقها: إذا تركت بيضها وحضنها بيض غيرها، ويقولون: أجبن من نعامة وأعدى من نعامة، ويقال: ركب فلان جناحي نعامة إذا جدّ في أمره..."(٣٢). وقال في مثل طريف : "ويقولون للذي يرجع خائباً : جاء كالنعامة ، لأن الأعراب يقولون أن النعامة ذهبت تطلب قرنين فقطعوا أذنيها فجاءت بلا أذنين ، وفي ذلك يقول بعضهم :

أو كالنعامة ، إذا غدت من بينها

لتصاع أذناها بغير اذنين

فاجتلت الاذنان منها فانتهت

هيماء ليست من ذوات قرون"(٣٣).

وهناك من الكتب ما يعطي تفاصيل لغوية أكثر من التسمية في النعام. قال أبو هلال العسكري (ت٣٩٥هـ) في "التلخيص":

ويقال للذكر: الظليم والهفل، والنقنق والحفيرد، والانثى هفلة وهَيفة ونقنقة. والأربد، والربداء فيها بُبدة، أي سواد بكسف ألوانها. والصَعْل، وأصله من صِغر الرأي والخاضِب الذي يأكل الربيع، فيحمر أطراف ريشه. ويقال لفرخ النعام: رأل، والجمع رئال. والخفّان الصغار منها. ولا يتكلم لها بواحد. وظليم هجمغ: طويل. والاخرج الذي فيه بياض وسواد"(٣٤).

وتحدث "أبو عمرو الجاحظ" في "الحيوان" كثيراً عن أدبيات النعامة، من ذلك شعر الاعشى في تشبيه النعام بما يتدلى من السحاب "من قطع الرباب"[٣٥]. وأشار إلى ان "النعائم في السماء": منزلة من منازل القمر بها ثمانية نجوم، اربعة منها في المجرة وتسمى الواردة، واربعة منها خارجة تسمى الصادرة "[٣٦].

وفي كتب أخرى غير اللغوية وافتنا بسطور طريفة عن هذا الحيوان ففي وصفها قال "زكريا القزويني": "حيوان مركب من خلقة الطير والجمل... أخذ من البعير عنقه والوظيف[٣٧] والمنسم[٣٨]، ومن الطير المنقار والجناح والريش"[٣٩]. وقبل ذلك بقرون قال "ارسطو" ذات المعنى: "والنعامة أيضاً على مثل هذا الحال، لأن بعض خلقته شبيهة بخلقة حيوان له اربع ارجل، ولأنه ليس بحيوان ذي اربع ارجل فله جناحان، ولأنه ليس بطير فهو لا يطير ولا يرتفع بالهواء..."[٤٠].

ومن المراجع التي تحدثت عن هذا الطائر "حياة الحيوان" للدميري، قال: "وليس للنعامة حاسة السمع ولكن له شمَ بليغ فهو يدرك بأنفه ما يحتاج فيه إلى السمع، فربما شمَ رائحة القناص من بعد"[٤١]. وقال: "إذا ادركها القناص ادخلت رأسها في كثيب رمل تقدَر إنها استخفت منه، وهي قوية الصبر على ترك الماء. وأشد عدوها إذا استقبلت الريح"[٤٢]. وفي صفاتها قال "القزويني":

"وإذا باضت تدفن البيضة تحت التراب لئلا يقع عليها الذباب والبق والنمل وغيرها وإذا عدت النعامة اخفت جناحيها إلى رجليها فلا يسبقها شيء من الحيوانات. ومن العجيب إنها إذا استقبلت الريح كان عدوها أشد مما إذا استدبر بها. وسئل أبو عبيدة عن ذلك فقال: إذا عدا كان بين الوثب والحفز والطير كالريح إذا عصفت من خلفه وإذا استقبلها وضع عنقه على ظهره ثم ضربه الريح لا يخاف ان يكبَه على وجهه. وإذا دخل الصيف وابتدأ البسر بالحمرة ابتدأ لون النعامة بالحمرة أيضاً ولا يزالان يزدادان حمرة إلى ان تنتهي حمرة البسر. ولا مخ لعظمها فإذا أصاب إحدى رجليها آفة وقعت لا تقوم على الأخرى". وعن بيضها قال "القزويني": "وإذا باضت تبيض عشرين بيضة أو أكثر فتجعلها ثلاثة اقسام، تدفن ثلثها في التراب وتترك ثلثها

في الشمس وتحتضن ثلثها، فإذا خرجت أفراخها كسرت ما كان في الشمس وغذتها بما فيها من الرطوبات التي ذوبتها الشمس ورققتها، فإذا اشتدت فراريجها وقويت اخرجت المدفون وفتحت لها ثقباً فينجمع عليها الذباب والبق والنمل وغيرها من الهوام فتأكل فراريجها إلى ان تقوى"[٤٣]. ويؤكد "العدوي" تقسيم النعامة للبيض، قال: "ومن عجيب أمرها إنها تبيض بيضاً طوالاً متساوية في القدر وتجعلها اثلاثاً، ثلثاً للحضن وثلثاً تأكله في أيام حضنها وثلثاً تكسره وتفتحه فيتعفن ويروَد، فيكون غذاء أولادها"[٤٤]. كما أكد حقيقة ذكرها "ابن منظور" بما سبق، قال: يقال إنها تخرج من حضنها فتجد بيض غيرها فتحتضنه وتترك بيض نفسها"[٤٥].

وعن ملاءمة لحم النعام للإنسان قال "ابن سينا" في القانون بأنه يفيد الاحياء "ليبني على لحمه بناءً عظيماً". وقال: "ذكر بعض الاطباء ان لحمه حار دسم مبسط الطعام ويقوي الجسم ويصلحه وهو غليظ لا يهضم. يزيد من الباه"[٤٦].

ولم تحرم كتب الشرع أكل لحم هذا الطائر[٤٧]، في حين قيل في تناول بيضه أمور أخرى فمنهم من حلله ومنهم من حذر من ذلك.

ومن طرائف ما تتحدث عنه كتب التراث في الاحلام ان النعامة "هي في المنام امرأة بدوية عربية. والظليم رجل عربي بدوي. وقيل النعامة نعمة. ومن ركب نعامة ركب خيل البريد... والنعامة تدل على الأصم لأنها لا تسمع. وقيل إنها تدل على النعمى من اسمها. ومن رأى في داره نعامة ساكنة طال عمره ونعمه... ومن أصاب من بيض النعامة فإنه يصيب امرأة، ومن أصاب من ريشها أصاب مالاً من رجل بدوي"[٤٨].

العندليب :

من الطيور الجميلة الشكل والصوت. هو البلبل، المسهر، المُزقة، وأبو هارون، والهزار[٤٩]، والاسم الاخير من هزار وستان بالفارسية[٥٠]. ويقال له أيضاً الكميت والجميل فضلاً عن النغر[٥١]. ومع ذلك قيل ان "وصف البلبل والهزار في كتب اللغة مضطرب جداً فالبلبل والعندليب عند بعض العرب الهزار ولعلهم كانوا يريدون

بالبلبل العندليب كل طائر حسن الصوت. وأهل الشام في أيامنا يطلقون اسم البلبل على الطائر المسمى Py cnonots عند علماء الحيوان ويسميه الانكليز Bulbul باسمه العربي. وأكثر المعاجم تترجم Nightingale Rossignalبالبلبل وهو خطأ إذا اريد بالبلبل الطائر المعروف في الشام بهذا الاسم. ومن الأوهام الشائعة ان الهزار Rossignal لا وجود له في الشرق والحقيقة إنه معروف في الشام ومصر وبلاد ايران"(٥٢).

وفي "لسان العرب" جاء عرض عن "العندليب": "البلبل يعندل أي يصوّت... الازهري: العندليب طائر أصغر من العصفور. قال ابن الاعرابي: هو البلبل. وقال الجوهري: هو الهزار. وقال الليل: هو طائر يصوت ألواناً وأنشد:

والعندليب إذا زقا في جنَةٍ

خيرٌ وأحسن من زقاء الدُحل(٥٣).

ونتيجة للمزج بين البلبل والهزار قال "أمين معلوف":

أولاً : الهزار عند الفرس هو المسمى Rossignal عند الافرنج.

ثانياً : اطلق بعض العرب اسم البلبل على كثير من الطيور الحسنة الصوت ومنها الهزار وأهل الحجاز يطلقونه على طائر آخر لا هو الهزار ولا هو البلبل المعروف في الشام.

ثالثاً : الطائر المعروف بالبلبل في بلاد الشام يسمى Py cnonats عند علماء الحيوان ويسميه الافرنج Bulbul وهو مختلف تمام الاختلاف عن الهزار.

رابعاً : يظهر من وصف الطائر إنه هزار وكذلك الطائر الذي يكنى بأبي هرون(٥٤).

وعن بعض صفاته قال "القزويني": "يسكن البساتين وله مغنى ويوجد أيام الورد. يقولون إنه يحب الورد فإذا رأى من يقطفه يكثر صياحه ولا يطير عن الماء ساعة لفرط حرارته، ولا يتزاوج إلا في البساتين والريح يعصف به من صغره وهو يعلم ذلك، فإذا كان يوم الريح لم يخرج"(٥٥).

الهدهد :

من الطيور التي تحدثت عنها كتب التراث كثيراً كما ورد ذكره في القرآن الكريم كناقل للخبر[٥٦]. وهو يمتاز بمنقاره الطويل وبريشه المخطط. وعلى الرغم من إنه طائر لا يمكن تربيته ، إذ سرعان ما يموت عند وضعه في الأقفاص، إلا ان الحديث عنه طويل كما ورد ذكره في الكتابات المسمارية.

من اسمائه هُدهُد وهُدهد وهُداهد. واسمه العلمي Upupa epop وبالانكليزية Hoopoe. وهو "طائر أخرج له قنزعة على رأسه وهو مشهور ومعروف بالهُدهد في جميع البلاد العربية وكنيته أبو الأخبار وأبو همامة وأبو الربيع وأبو روح وأبو سجَار وأبو عبَاد والجمع هداهد وهداهيد"[٥٧]. وفي النصوص المسمارية ورد ذكر الهدهد فهو بالسومرية "لاكاب" و"سي تور" وبالأكدية والبابلية "كوبشانو"[٥٨].

وخلال العصر الاسلامي اسهبت بعض المصادر في حديثها عن الهدهد في اللغة وغير ذلك . قال " ابن منظور " (ت -٧١١ هـ) :

طائر معروف ، وهو مما يقرقر ، وهدهدته : صوت . والهدهد مثله ، وانشد بيت الراعي ايضاً :

كهداهد كسر الرماة جناحه

يدعو بقارعه الطريق هديلا

قال ابن بري : الهديل صوته ، وانتصابه على المصدر على تقدير يهدل هديلاً لأن يدعو يدل عليه والمشبه بالهدهد الذي كسر جناحه ، هو رجل آخذ المصدق ابله بدليل قوله في البيت قبله :

أخذوا حمولته فاصبح قاعدا

لا يستطيع عن الديار حويلا

يدعو امير المؤمنين ، ودونه

خرق تجر به الرياح ذبولا

قال ابن سيده: وبيت ابن احمر:

ثم اقتحمت مُناجداً ولزمته،

وفؤاده رَجِل كعزف الهدهد

يروى: كعزف الهُدهُد، وكعزف الهَدهَد، فالهدهد: ما تقدم. والهدهد قيل في تفسيره: أحداث الجن ولا واحد له"(٥٩).

أما زكريا القزويني فقال في الهدهد:

"طير نتن الرائحة... والهدهد يلطخ عشه برجيع الإنسان فيحتمل ان يكون نتنة من ذلك، وتراه في الربيع فاتحاً فاه يخرج الذباب من حلقه ويطير وكل مكان به الهدهد لا يوجد به الارضة"(٦٠).

أما أكل لحمه فقد اختلف فيه، فقد جاء: وحكم تحريم أكله لنهي النبي (صلى الله عليه وسلم) من أكله لأنه نتن الريح ويقتات الدود. وقيل يحل أكله لأنه يحلل من الشافعي وجوب الفدية فيه وعنده لا يفدى إلا المأكول"(٦١).

النسر :

من الطيور التي كثيراً ما اتخذت رمزاً للقوة والسيطرة. وقد احتل النسر مكان الصدارة كشعار للحرب عند العراقيين ومنها الحضر، ومارايةَ صلاح الدين الأيوبي إلا إحدى تلك الشعارات المشهورة، بل ولاتزال العديد من الدول تتخذ من هذا الطائر رمزا لها. ونظراً لما احتله من مكانة في عالم الصيد والحرب فقد تغلغل في عقائد شعوب كثيرة لتتخذه الهاً يعبد. وفي الحقبة العربية قبل الإسلام كان هذا الطائر من معبودات العرب وقد ذكره القرآن الكريم،ولكن ربما يقع الخلط بينه وجوارح أخرى مثل الصقر.

يدعى النسر علمياً Gyps fulvus وبالانكليزية Vulture، ويعرّف بأنه:

"طائر من سباع الطير ليس من غناتها أي من جوارحها بل يقع على الجيف وقلما يعيد وهو اعظم من العقاب شره نهم رغيب. له مَنْسَر طويل منعقف في طرفه

منقط ولا ريش له في رأسه وعنقه بل فيهما زغب ابيض قصير وله بُرائل أي ريش مستدير بأسفل عنقه. ساقاه عاريتان بخلاف العقاب فإنها مسرولة الساقين والرجلين ولا مخالب له بل أظفار ولا يقوى على جمع أظفاره وحمل فريسته كما تفعل العقاب بمخالبها... وليس للنسر الرخمة الصفراء ولا الشومة في الشام"(٦٢).

أما الصقر أو الشرق Sakir falcon فهو "كل طائر يصيد ما خلا النسر والعقاب وهو يشمل البازي والشاهين والحرّ والشرق والباشق والبيدق والسقاوة والعوسق والبؤبؤ والزرَق وغيرها"(٦٣). وتتميز "الصقور عند البرادرة من الافرنج طائفتان كذلك عند المشارقة كالعرب والفرس أي صقوة وبزاة فالصقور سود العيون محدودة الرؤوس طوال الاجنحة قصار الارجل والبزاة صفر العيون مدورة الرؤوس قصار الاجنحة طوال الارجل"(٦٤).

من أنواع النسور في العراق ما يعرف بالرخمة المصرية Neophron Percnopterus وهي من أصغر أنواع النسور. أما النسر الاسمر Gyps fulvus فهو أكبر بكثير من الرخمة(٦٥).

ومما يقال عن النسور إنها من الطيور المعمرة إلا ان غالبيتها لا تعيش لأكثر من (٥٠) عاماً لذا لا صحة لما يذكره الدميري من إنه يصل إلى ألف عام(٦٦).

وفي العراق القديم احتل النسر والعقاب اهميته في العديد من الأعمال الفنية، إلا ان تمثيلها يأتي فيه ابتعاد عن الطبيعة في تمثيل الاجنحة والذيل(٦٧).

وفي الكتابات المسمارية جاء ذكر النسور من ذلك نسر الحملان (أو الملتحي)، وهو Cir caetusgallicus، وهو بالأكدية "خورين" hu-ri-in(٦٨). كما جاء ذكر أنواع من العقبان منها الملكي Agmila helica وهو بالمسمارية آ(بَخ) وبالأكدية آرو. كما جاء ذكر العقاب السهلي، هو raptor orientalis وهو "اورينو" بالأكدية urinnu(٦٩).

وقبل الإسلام اتخذ الحضريون النسر كأحد آلهتهم الرئيسة باسم "نشرا". وعلى الرغم من إننا لم نعثر لهذا الاله الكبير لديهم على معبد خاص به إلا ان تمثيله كنسر

تزينه القلائد الثمينة كثيراً ما جاء كقطع مستقلة أو كجزء من تماثيل[٧٠].

وخلال العصر الاسلامي تحدثت الكتب عن النسور والعقبان.

ومن الكتب المهمة التي اختص بالطيور "كتاب ضواري الطير" للغظريف بن قدامة الغساني (القرن-٢هـ)، وهو من الكتب الأولى في الموضوع مطلع العصر الاسلامي. ويقع في (١٤٧) باب. وفي الباب الثاني الذي وضع له عنوان "في صفة اخلاق أجناسها ومنازلها وأجناسها ودرجاتها" قال:

رأينا هذه الجوارح أجناساً، خلقها الله عز وجل، وانشأها على منازلها ودرجاتها، وهي اربعة أجناس، وخمسة عشر شكلاً، ولكل شكل درجة، فأما الاجناس الاربعة فهي البازي والشاهين والصقر والعقاب وما دونها درجات بعضها أجلّ من بعض، كلها على خلق واحد، وطبع واحد، وهو: الطفريل، والبازي التام، والتيمي، والزرق، والباشق، والبيدق"[٧٢]. وهكذا نرى في عرضه إنه لا يجعل النسور من هذه الفصيلة ولا يتناولها في كتابه.

من المصادر اللغوية التي تحدثت عن النسر "لسان العرب"، لابن منظور (ت٧١١هـ)، قال: "نَسَرَ الشيء: كشطه. والنسر: طائر معروف، وجمعه أنسُر في العدد القليل، ونسر في الكثير.... ابن الاعرابي: من اسماء العقاب النسارية شبهت بالنسر، الجوهري: يقال النسر لا مخلب له، وإنما الظفر كظفر الدجاجة والغراب والرخمة. وفي النجوم: النسر الطائر، النسر الواقع..."[٧٣].

سبق "أبو هلال العسكري" (ت-٣٩٥هـ) ابن منظور في حديثه عن النسور فقال: "قال بعضهم: الانثى-رخمة، والحم رَخَم، ويقال لها: آنوق. وفي المثل: "أعز من بيض الانوق" وقيل ذلك لأنها تبيض في مواضع عالية ولا يصل إليها أحد ولا يصل إليها أحد. وقيل هو الذكر وان نسب إليه البيض في هذا المثل. ويقال لولده: الهيثم. ولبد نسر معروف يتمثل به القوم..."[٧٤].

من المعروف ان هذا الحيوان يعيش على اللحوم المتعفنة لذا كان أكله محرماً.

الهوامش :

(١) د. غلاب، محمد السيد؛ تطور الجنس البشري، الدار المصرية للطباعة، ١٩٥٧، ص٤٧.

(٢) مجموعة اساتذة؛ علم الحيوان العام لطلبة الجامعات والمعاهد العليا، مكتبة الانجلو المصرية، ط-٤، ١٩٧٦، ص٨٣١-٣٣.

(٣) الدميري، كمال الدين؛ حياة الحيوان الكبرى، دار الفكر. بيروت، جـ-١، ص١١٤.

(٤) اللوس، بشير؛ الطيور العراقية، مطبعة الرابطة، بغداد، ١٩٦١، جـ-٢، ص٢٠٦.

(٥) المصدر السابق نفسه.

(٦) العلي، عزيز؛ الطير في حياة الحيوان الكبرى للدميري، بغداد. ١٩٨٦، ص٤٧.

(٧) اللوس ؛ ص٢٠٧.

(٨) اللوس ؛ ٢٠٨.

(٩) الانطاكي، داود؛ التذكرة، مصر، العتبة، جـ-١، ص٦٤.

(١٠)الدميري، حياة الحيوان الكبرى، م_١، ص١١٣.

(١١)المصدر السابق نفسه.

(١٢)العدوي، عبد المجيد علي؛ الدلالات في معرفة منفعة الطيور والهوام والحيوانات، المطبعة الكستلية، مصر، ١٢٨١هـ، ص٧.

(١٣)العلي؛ الطير في حياة الحيوان، ص٤٧.

(١٤)احمد زكي؛ في سبيل موسوعة علمية، دار الشرق، بيروت، ص١٨٨.

(١٥)السمعاني، ابي سعد عبد الكريم محمد بن منصور التميمي. الانساب، (تصحيح الشيخ عبد الرحمن المكي)، الدكن، حيدر آباد، ١٩٦٣، جـ-٢، ص٧٣.

(١٦)المعلوف، امين؛ معجم الحيوان، دار الرائد العربي، بيروت، ص١٨٣.

(١٧)المصدر السابق نفسه.

(١٨)الانطاكي: جـ-١، ص٦٤.

(١٩)الدميري، م-١، ص١١٤.

(٢٠)السامرائي، يونس ابراهيم؛ حكم الاسلام في الطيور والحيوانات، مطبعة الأمة، بغداد، ١٩٧٣، ص١٤.

(٢١)الانطاكي، جـ-٢١، ص٦٤.

(٢٢)المصدر السابق نفسه.

(٢٣)الدميري؛ م-١، ص١١٣.

(٢٤) (ابن سيرين، محمد (و) النابلسي، عبد الغني؛ تفسير الاحلام. وتعطير الأنام في تعبير المنام، (نقحه ورتبة على الحروف اسماعيل اليوسف). الوكالة العربية للتوزيع، عمان، ١٩٩٠، ص٤٢.

(٢٥)العلي، عزيز؛ الطير في حياة الحيوان للدميري، بغداد، ١٩٨٦، ص٣٩، حاشية (١٢).

(٢٦)العلي؛ ص٣٩.

(27) Van Buren, Douglas; Fauna of Ancient Mesopotamia, Rome, 1934, p. 86.

(٢٨)العلي، ص٣٩، حاشية (١٢).

(٢٩)العلي، عزيز؛ الحيوان في تراثنا بين الحقيقة والاسطورة، دار الشؤون الثقافية العامة، وزارة الثقافة والاعلام، بغداد، ١٩٨٧، ص١٠٠.

(٣٠)ابن منظور، محمد بن مكرم جمال الدين؛ لسان العرب المحيط، دار لسان العرب، بيروت،أعادبناءه على الحرف الأول نديم مرعشلي ويوسف خياط،م-٣،ص٦٧٥.

(٣١)المصدر السابق.

(٣٢)المصدر السابق نفسه.

(٣٣)العسكري، أبو هلال، التلخيص في معرفة اسماء الأشياء، (تحقيق عزة حسين)، دمشق، ١٩٧٠، جـ-٢، ص٦٤١-٤٢.

(٣٤)الجاحظ، أبو عمرو، الحيوان، جـ-٤، ص٣٥٣-٥٤.

(٣٥)الجاحظ، جـ-٤، ص٣٥١.

(٣٦)الوظيف: مستدق الذراع والساق من الخيل والابل وغيرها. المنجد في اللغة والاعلام، دار الشروق، بيروت، ط-٢٣، ص٩١٧.

(٣٧)المنسم: خف البعير. طرف خف البعير والنعامة ونحوها. المنجد في اللغة والاعلام، ص٨٠٧.

(٣٨)القزويني، زكريا؛ عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات، (تحقيق فاروق سعد)، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٧٣، ص٤٦٣.

(٣٩)العلي؛ الحيوان في تراثنا، ص١٠٢.

(٤٠)الدميري، كمال الدين؛ حياة الحيوان الكبرى، دار الفكر، بيروت، م-٢، ص٣٥٧.

(٤١)المصدر السابق نفسه.

(٤٢)القزويني؛ ص٤٦٣- ٦٤.

(٤٣)العدوي، عبد المجيد؛ الدلالات في بيان منفعة الطيور والهوام والحيوانات، مصر، ١٢٨١، ص٤٢.

(٤٤)ابن منظور، م-٣، ص٦٧٥.

(٤٥)ابن سينا، أبو علي؛ القانون في الطب، بيروت، دار صادر. (عن طبعة بولاق)، جـ-١، ص٣٧٨.

(٤٦)الدميري؛ م-٢، ص٣٥٨. السامرائي، يونس ابراهيم، حكم الإسلام في الطيور والحيوانات، مطبعة الأمة، بغداد، ١٩٧٣، ص٤٣.

(٤٧)ابن سيرين، محمد بحر النابلسي، عبد الغني؛ تفسير الاحلام، تعطير الأنام في تعبير المنام، (نقحه ورتبه على الحروف اسماعيل اليوسف). الوكالة العربية للتوزيع، عمان، ١٩٩٠، ص٢٧٢.

(٤٨)ومثل هذا التفسير نراه في حياة الحيوان للدميري: م-٢، ص٣٥٩.

(٤٩)المعلوف، أمين؛ معجم الحيوان، دار الرائد العربي، بيروت، ص١٧٠.

(٥٠)القزويني، زكريا؛ عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات. (تحقيق فاروق سعد)، دار الافاق الجديدة، بيروت، ١٩٧٣، ص٤٤٢.

(٥١)الدميري، كمال الدين؛ حياة الحيوان الكبرى، دار الفكر، بيروت، م-١، ص١٥٥.

(٥٢) المعلوف؛ ص١٧٠.

(٥٣) ابن منظور، محمد بن مكرم جمال الدين، لسان العرب المحيط، دار لسان العرب، بيروت.

(٥٤) المعلوف، ص١٧١.

(٥٥) القزويني، ص٤٤٢.

(٥٦) المعلوف، أمين؛ معجم الحيوان، دار الرائد العربي، بيروت، ص١٢٧.

(٥٧)الكناني، مسعود مصطفى، الحيوانات البرية والصيد عبر العصور، جامعة الموصل، ١٩٨٥، ص٢١٠.

(٥٨) ابن منظور، محمد بن مكرم جمال الدين؛ لسان العرب المحيط، دار لسان العرب، بيروت، جـ-٣، ص٧٨٢.

(٥٩) القزويني، زكريا؛ عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات، دار الافاق الجديدة، بيروت، ١٩٧٣، ص٤٦٤-٦٥.

(٦٠) السامرائي، يونس ابراهيم، حكم الاسلام في الطيور والحيوانات، مطبعة الأمة، بغداد، ١٩٧٣، ص٤٠.

(٦١) المعلوف، أمين؛ معجم الحيوان، دار الرائد العربي، بيروت، ص٢٦٠.

(٦٢) المعلوف، ص١٠٢.

(٦٣) المصدر السابق نفسه.

(٦٤) العلي، عزيز؛ الحيوان في تراثنا بين الحقيقة والاسطورة، وزارة الاعلام، بغداد، ١٩٨٧، ص٩٩.

(65) Van Buren, Douglas; The Fauna of Ancient Mesopatamia, Rome, 1939, pp.82-83.

(٦٦) الكناني، مسعود مصطفى؛ الحيوانات البرية والصيد عبر العصور، جامعة الموصل، ١٩٨٥، ص٢٠٧.

(٦٧) المصدر السابق نفسه.

(٦٨) الغظريف، قدامة الغساني، ضواري الطيور، دار الشؤون الثقافية العامة، وزارة الثقافة والاعلام،(تحقيق د.نوري القيسي ومحمد الدليمي)،بغداد، ١٩٩٠، ص٥٣.

(٦٩) ابن منظور، جمال الدين؛ لسان العرب المحيط، دار لسان العرب، بيروت، جـ٣، ص٦٢٤-٢٥.

(٧٠) العسكري، أبو هلال؛ التلخيص في معرفة اسماء الاشياء، (تحقيق د. عزة حسن)، دمشق، ١٩٧٠، جـ٢، ص٦٦٩.

(٧١) السامرائي، يونس ابراهيم، حكم الإسلام في الطيور والحيوانات، مطبعة الأمة، بغداد، ١٩٧٣، ص٤٣.